الالات الموسيقية الشعبية و مكانتها فى الموسيقى العربية

د. محمد سعيد الككلى

د. مصباح عامر ابومهدى

ملخص البحث

Abstract

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن السمات الفولكلورية فى الالات الموسيقية الشعلبة والتى نعتبر من التراث الفني الذي قرب على الاندثار ، وذلک في محاولة الربط بين ما هو قديم ومتمثل في تراثنا الموسيقى الشعبي وكيفية ترجمة هذا التراث وإبرازه للمهتمين وتعريفهم بتراثنا الشعبي الثري في ظل عصر العولمة الذي هو واقع معاش وكيفية التعايش والتماشي معه . و التعريف ب الالات الموسيقية القديمة وما تتمتع به من امكانيات اوصلت الموسيقى العربية الى مستوى كبير من التطور و الرقى . ونستعرض فى هذا البحث الالية والخطوات التى طراءات فى استمرارها واهميتها ، و من منطلق ان التطور العلمى والتكنولوجى الذى غير الكثير من المضامين لالات الموسيقية القديمة وما طراء عليها من نطور . ونظرا لضرورة تأكيد معالم الهوية العربية المثمثلة في اللات الموسيقية الشعبية والتي قاربت علي الانتثار الامر الذي استوجب تاكيد استخدام اللات الموسيقية الشعبية لثبيث الهوية الفنية وفي ظل تحديات العولمة وعصر المعلوماتية وهذا ما تطرق له الباحثان فى هذه المقالة ، لذا يري الباحثا أن الاستفادة من دراسة الثراث الشعبي المثمثل في اللات الموسيقية وعلاقته بالابداع المعاصر للموسيقي العربية مهم للتعريف بحضارات الشعوب العربية .

لكي يكون لنا هويتنا الخاصة بنا . مع القناعة أن العالمية تبدأ من المحلية ، مع توظيف هذا التراث جماليا وتشكيليا ، وليس المحافظة عليه فقط دون الإفقار أو الجمود ولكن للتعريف بهذا التراث العريق المتمثل فى الالات الموسيقية القديمة، مع التطرق إلى أهم الالات الموسيقية المستعملة وامكانياتها و دورها فى مكانة الموسيقى العربية والعالمية و ما تتميز به من اسلوب فى الاداء وسط الفرق الموسيقية المتمثلة فى التخت الشرقى والفرق الاوركسترالية الكبيرة . فى هذا البحث تطرقنا

لاتعريف باهم الالات الموسيقية المستعملة والتعريف بها و دورها فى اثراء الحركة الفنية بكل ما تحتويه من سمات فنية وجمالية .

المقدمة

introduction

تعد السمات الفولكلورية شاملة وجامعة لكل الجوانب الأساسية للتراث الموسيقي الشعبي العربي فهي تستلزم وجود جماعة أو جماعات شعبية، فعلى سبيل المثال نجد في الموالد اهتمام تلك الجماعات بها وتعمل على حضورها وانتشارها بين الجماعات الشعبية التي لها ثقافتها الخاصة مع استخدام اللات الموسيقة التراثية المثمثلة في اللات الوثرية مثل العود والكمان والقانؤن وكذلك اللات الايقاعية المثمثلة في. الطار والرق والبندير والطبلة والتي نطلق عليها الثقافة الشعبية .

وتعتمد السمات الفولكلورية على مجموعة من قواعد السلوك التي تحددها العادات والتقاليد المرتبطة ارتباطا وثيقا بمعتقد شعبي يدعمها ويعمل على ترسيخها. فالظاهرة الفولكلورية لا تختلف عن الظاهرة الاجتماعية التي تعتبر أسلوب للتفكير وقالب للعمل يصب فيه الأفراد أعمالهم شاءوا أم لم يشاءوا في مجالات الحياة الاجتماعية.

ومن منطلق أن الفنان لا يعيش بمفرده في هذا العالم ولكن في ظل الثورة التكنولوجية والمعلوماتية أصبحنا نعيش في قرية واحدة صغيرة وهذا يعنى أن الفنان إذا انعزل عن ما هو حوله فلا يكون جدير بأن يكون فنان متفتح وواعي بما يدور من حوله لاستيعابه وترجمته في أعمال فنية تخدم البشرية بأكملها وليست قاصرة على جماعة بعينها لذا وجب علينا الحفاظ على هويتنا الشعبية المثمثلة في اللات الموسيقية الشعبية في ظل عصر العولمة والمعلوماتية الذين هما إزالة للحواجز الزمانية والمكانية والثقافية بين الأمم والشعوب، وهما محاولة لفرض قيم وحضارة معينة وهى الحضارة الغربية، أو قيم الأقوياء . حيث أنه من الواضح انه توجد علاقة وثيقة بين مفهوم العولمة والسياسات المترتبة علي هذا المفهوم وبين الفنون الجميلة، فالعولمة أصبحت تعني بالنسبة لكل من تناول هذا المصطلح بالشرح والتحليل انهيار الجسور وزوال الأسوار التي كانت تعزل الدول عن بعضها البعض، فالتغيرات

التي حدثت في العالم خلال العقدين الماضيين غيرت في حركة الفن ويسرت حركة انتقال هذه المتغيرات في الفن بين مختلف الأمم .

مشكلة البحث:

نظرا لضرورة تأكيد معالم الهوية العربية المثمثلة في اللات الموسيقية الشعبية والتي قاربت علي الانتثار الامر الذي استوجب تاكيد استخدام اللات الموسيقية الشعبية لثبيث الهوية الفنية وفي ظل تحديات العولمة وعصر المعلوماتية وضرورة الاهتمام بالاستفادة من التراث الموسيقي العربي الفني وبخاصة السمات الفولكلورية بما تحتويه من الموالد و الذكر والأساطير وقصص الخوارق والعادات والتقاليد التي تمارس بها

لذا يري الباحث أن الاستفادة من دراسة الثراث الشعبي المثمثل في اللات الموسيقية وعلاقته بالابداع المعاصر للموسيقي العربية مهم للتعريف بحضارات الشعوب العربية .

اهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن السمات الفولكلورية وهى من التراث الفني الذي قرب على الاندثار في هذا العصر، وذلک في محاولة الربط بين ما هو قديم وحديث متمثل في تراثنا الشعبي وكيفية ترجمة هذا التراث وإبرازه بصورة جمالية والتعريف به في ظل عصر العولمة الذي هو واقع معاش .

اهمية البحث والحاجة اليه :

يهدف البحث الى أن العالمية تبدأ من المحلية ، مع توظيف هذا التراث جماليا وتشكيليا ، وليس المحافظة عليه فقط دون الإفقار أو الجمود ولكن للتعريف بهذا التراث العريق، مع التطرق إلى أهم تقاليد الأداء على الآلات الموسيقية العربية التقليدية في الماضي والحاضر، وفق خصوصية كل آلة، مصحوبا باثر التكوين الفني وما تتميز به هذه الالات من امكانيات تجعل الموسيقى العربية فى تطور وازدياد ، وتدعم العازف العربي، واكسابه التميز بخيال إبداعي وتقنية أدائية تعينه على تقديم تأويل جديد .

المبحث الاول .

وتعرّف الموسيقى بأنها صناعة في تأليف النغم والأصوات ومناسباتها وإيقاعاتها وما يدخل منها في الجنس الموزون والمؤتلف بالكمية والكيفية [١] (فاروق أحمد مصطفى: الانثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي) 2008

وتنقسم الآلات الموسيقية العربية إلى عدة أنواع وهي:

- الالات الوترية .

. الالات النفخ الهوائية .

. الالات الايقاعية .

اولا. الالات الوترية .

من أهم الآلات الوترية التي استعملت عند العرب واعتمدت عليها الموسيقة العربية هي:

الة العود :

أوّل من استعمل هذه الآلة حسب كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني هو سائب خاثر، كما طور هذه الآلة الموسيقار علي ابن نافع الملقب بزرياب، وكُتُب الأدب العربي وصفت العود في الكثير من نصوصها وتحدثت عن ارتباط أوتاره بطبائع الإنسان الأربعة، وللعود أنواع عدة تميزت بأصالتها العربية، كما أنّ العود العربي انتقل إلى البلاد الأوروبية عن طريق الأندلس وصقلية ثم عن الأتراك العثمانيين. (محمد إبراهيم رجب الشوربجي: النحت المصري المعاصر بين الهوية والعولمة 20031- فاروق أحمد مصطفى: الانثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي

آلة القانو

المعنى الموسيقي لكلمة "قانون" هو: كلمة عربية ذات أصل إغريقي وتدل على آلة ذات وتر واحد والة القانون الة موسيقية وترية تعتبر من الالات البارزة فى فى مجموعة التخت الشرقى العربى ، ومن حيث الاداء فان هذه الالة يتميز عازفها بالاداء المنفرد ، حيث انها اتخذت وحازت مكانا مرموقا بما تتميز به من مساحة صوتية واسعة ، فهى تحتوى على امكانيات تجعلها تتميز بمساحة صوتية واسعة اذ انها تشمل ثلاثة دواوين صوتية اى (اوكتاف) ونصف الديوان تقريبا ، وبهذه الامكانيات فان الة القانون تغطى كافة المقامات الموسيقية الربيسية والمشتقة وبهذا تعتبر الة القانون بمثابة القانون او الدستور لجميع الات الموسيقة العربية ، حيث من نستطيع ان نقول ان الة القانون هى الالة الام و الاساسية عند الشرق و الوطن العربى كافة مشابهة بالة (البيانو) عند الدول الغربية والاوربية ولاهمية الة القانون الموسيقية اعتماد باقى الالات الموسيقية عليها فى ضبط و دوزنة الالات الوترية المصاحبة فهى تتمركز دابما فى وسط الاوركسترى العربية و الفرق الموسيقية الصغرى مثل التخت العربى ، تعدّ من الآلات الموسيقية العربية التي ظهرت واستعملت في الشرق وقد اشتهرت وعُرفت في مصر، وباقى الاقطار العربية الاخرى . (محمد إبراهيم رجب الشوربجي: النحت المصري المعاصر بين الهوية والعولمة النوعية 2003)

وتعتبر الة القانون من الآلات الوترية التي تنقل للمستمع جميل الألحان، فهي من الآلات المحببة والمهمة في الموسيقى العربية بشكل عام، حيث إنّها أخذت مكانًا مرموقًا بما تتميز به من جمال وقوة الصوت الناجم عن سماع صوتين أحدهما في القرار، والثاني في الجواب يعطي إحساسًا للسامع أنه

منطلق من آلتين وتريتين، وتتميز بالمساحة الصوتية الواسعة، (ابى نصر بن محمد بن طرخان الفارابي، كتاب الموسيقى الكبير، صفحة 15)

آلة الربابة:

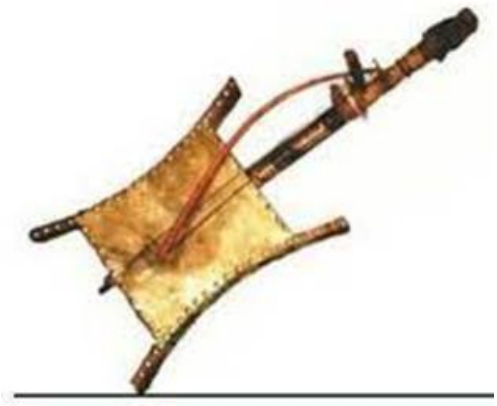

هي أيضًا من الآلات العربية التي تحدث عنها النابلسي في هامش رسالته قائلًا. الربابة آلة موسيقية عربية قديمة نشأت في الجزائر وتونس ومراكش مثل قدمها في العراق والأقطار القريبة منه، كما وردت كلمة "رباب" اسمًا للفتيات في الأشعار العربية القديمة، ثم ذكرها الخليل بن أحمد الفراهيدي حيثيقول: "إنّ العرب كانوا يغنون أشعارهم على صوت الربابة ..

والربابة آلة وترية قديمة الشهرة، قليلة الاستعمال في هذا العصر، وهي ذات صندوق نصف بيضاوي الشكل مغطى بغطاء رقيق من الجلد لتكون نغمها أكثر مجانسة للأصوات البشرية، وقد تطورت صناعة هذه الآلة تدريجيًا إلى عدة أصناف فمنها: رباب الشاعر ثم الرباب المغربي والرباب التركي المعروف بالأرنبة، وهذان يختلفان بالشكل عن الرباب العربي القديم. (صالح المهدي، الموسيقى العربية بين التراث والحداثة، صفحة 1)

ثانيا. الآلات الهوائية :-

من أهمّ الآلات الموسيقيّة الهوائيّة ما يأتي:-

آلة الناي:-

آلة الناي تعرف آلة الناي في معجم المعاني: لفظة أعجمية معربة عن الأرغول، وهي من الآلات الموسيقية النفخية، تُصدر أصواتًا بعد النفخ على الثقوب الموجودة فيها، وتتكون من أنبوبة مفتوحة الطرفين، ولها ثقوب جانبية موجودة بأبعادٍ معينة،[٢]، ومن جهة أخرى تُعرف آلة الناي بأنها آلة موسيقية شرقية تُستخدم بشكلٍ كبير في التخت الموسيقي الشرقي، ولهذا تُعدّ من ضمن الآلات الموسيقية العربية، وتُصنع آلة الناى من نبات القصب البرّي، وهو قصبة جوفاء مفتوحة من الطرفين، وتُستخدم آلة الناي منذ زمنٍ قديم، وقد استخدمت في مصر القديمة القدماء، وبشكلٍ عام يوجد آلة ناي طويلة وأخرى قصيرة، ويكون فيها تسع عُقل فيها ستة ثقوب موجودة على استقامة واحدة، ويوجد فيها ثقب من الخلف يتحكم به إصبع الإبهام، وتُصدر آلة الناي نغمات تون ونصف تون وثلاثة أرباع التون بدقة عالية، لهذا يستخدم العازفون أكثر من آلة ناي واحدة؛ وذلك لتغطية جميع النغمات المطلوب.

الة الناى النفخ القديمة وهي آلة موسيقيّة شرقيّة، وقد تحدثت عنها الكتب القديمة، وبيّنت طريقة خروج الأصوات منها عن طريق تسرب الهواء في تجويفاتها شيئًا فشيئًا، وهي عبارة عن آلة من قصب فيها تسع عقد لجميع الدرجات الصوتية من الموسيقى العربية وغيرها، وتعد آلة الناي من أقدم الآلات الموسيقية، وقد اعتمدت عليها العديد من الطرق الصوفية في الهند وبلاد فارس. الفارابي، كتاب الموسيقى الكبير، صفحة 800.

يؤكد خبراء الآثار والمتخصصون في علم المصريات أن عمر آلة الناي ناهز عمر الحضارة الفرعونية القديمة، وكان يصنع من نبات الغاب الذي ينمو على ضفاف النيل، وكانت آلة الناي إحدى العناصر

الثلاثة القديمة التي تكونت منها الفرقة الموسيقية في الدولتين القديمة والوسطى والتي كانت تتكون من المغني وعازف الصنج وعازف الناي، كما انتقلت آلة الناي إلى بقية الممالك القديمة التي تقدمت الميلاد وقد ذاع انتشارها وظلت منتشرة حتى الآن. استمرّ استخدام الناي في العصور الإسلامية، ومن هذا العصر جاءت تسمية الآلة، إذ إنّ الناي كلمة فارسية الأصل أصبحت سائدة الاستعمال في اللغة العربية، وذلك في منتصف العصر العباسي والى غاية الوقت الحاضر، والكلمة العربية المطابقة في مدلولها لكلمة الناي هي "الشبّابة" وكذلك القصّابة . (صالح المهدي، الموسيقى العربية بين التراث والحداثة، صفحة 20)

7

آلة المزمار.

هي من الآلات الهوائية أيضًا التي عُرفت عند العرب المصريين والتي لا يتفق كل المؤلفين الشرقيين حول اسمها، ولعله ليس هناك من يعطي هذه الآلة اسمًا له دلالته إلّا في مصر، وهذا الاسم هو "زمر" والجمع "مزامير"، كما يلفظ في القاهرة، وهذا الاسم يعني في العربية أنّ دورها يقتصر على مصاحبة الغناء، ومع ذلك قليلا ما تُشاهد هذه الآلة وهي تستخدم مقترنة أو مصاحبة للغناء، ويقال في العربية يزمر في الآلة أي يعزف على آلة موسيقية. (جوان عدنان جاسم، مجلة الأكاديمي، صفحة 373.)

المبحث الثانى

ثالثا. الآلات الإيقاعية :-

تعتبر الالات الايقاعية مهمة جدا فى مصاحبتها للالات الموسيقية الاخرى فهى العمود الفقرى فى انجاز الاعمال الموسيقية ، وهى الركيزة الاساسية فى الموسيقى التقليدية فنجدها حاضرة فى كافة المحافل الدينية والمناسبات الصوفية لما لها من اهمية وحضور مميز .

8

الطبول :

تعتمد الطبول على الجلد في صناعتها، وهذه الآلات هي الأقدم والأوسع انتشارًا بين الآلات الإيقاعية، وهي ذات تنوّع في القالب الذي تتركب منه، حيث يشدّ الجلد على قوالب منها الخشبية ومنها الفخارية ومنها المعدنية، كما تختلف كل آلة عن غيرها من الآلات في شكلها ومن حيث الصوت الذي تصدره، ومن هذه الآلات الإيقاعية: الطبلة والرق والدف والطبل، وهناك آلات إيقاعية تعتمد على المعدن مثل: الصنوج بأنواعها. (زهير شايب، الآلات المصرية المستخدمة عند المصريين المحدثين، صفحة 223)

الرق:-

هي كالطبول ولا سيما المصنوعة من الجلد، يكون النقر عليها إمّا باليد أو بواسطة المضارب، وجسم هذه الآلات إمّا أن يكون إطارًا كما هو الحال في الدفوف والطبول، أو أسطوانة مثل بعض الطبول والدّربكّة، أو بشكل كأس أو إناء مثل النقارات، وكان السومريون يستعملون أنواعًا مختلفة من الطبول بأشكال وهيئات وأحجام متعدّدة متفاوتة .

الدف :-

هي آلة إيقاعية دائرية الشكل تحيط بها أقراص من المعدن بشكل مزدوج "قرصان مع بعضهما البعض" لإصدار إيقاع موسيقي رديف بالإيقاع الجلدي، وقد تُصنع من الخشب أو الفخار أو المعدن، ويختلف صوتها وفقًا للمادة المصنوعة منها ، فالفخار يعطي صوتًا مبطنًا، أما الخشب يزيد من صداها لينتهي بالمعدن الذي يزيد من حدّتها نوعًا ما، وتعد من اللآلات الإيقاعية التي تضفي صوتًا رنانًا مرفقًا بالإيقاع المطلوب. (أديب المتني، دراسات في علم الإيقاع أسامة، صفحة 19).

دمج بعض ما سبق مع الناي:-

كانت الطبول تصاحب العزف على الناي والبوق، وكانت لها قدسية خاصّة، وكان الأجداد القدامى يدّقون الطبول لإثارة الحزن في أيّام الخسوف الكلّي وما تزال هذه العادة جارية عند بعض القرى في بلاد ما بين النهرين. (أديب المتني، دراسات في علم الإيقاع أسامة، صفحة 19.)

أنواع الطبول تُحصى في مصر سبعة أنواع من الطبول، خمسة تستعمل في المناسبات الرسمية الكبرى ومنها: النقارية والنقرزان والطبل الشامي أي: الطبول السورية، وهذه كلها تصنع من النحاس، ويكسوها الجلد. (مجدي إسحاق، فن الإيقاع، صفحة 137.)

المراجع

(1) فاروق أحمد مصطفى: الانثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي "دراسة ميدانية"، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة،2008 صـ80 2008

(2) محمد إبراهيم رجب الشوربجي: النحت المصري المعاصر بين الهوية والعولمة (دراسة مقارنة)، رسالة دكتوراه، كلية التربية النوعية، جامعة المنصورة، 2003

(3) أبي نصر بن محمد بن طرخان الفارابي، كتاب الموسيقى الكبير، صفحة 15.

(4) صالح المهدي، الموسيقى العربية بين التراث والحداثة، صفحة 16.

(5) الفارابي، كتاب الموسيقى الكبير، صفحة 800. نسمة الحملاوي، منشورات كلية التربية النوعية للدراسات التربوية والنوعية، صفحة 5.

(6) صالح المهدي، الموسيقى العربية بين التراث والحداثة، صفحة 20.

(7) جوان عدنان جاسم، مجلة الأكاديمي، صفحة 373 .

(8) زهير شايب، الآلات المصرية المستخدمة عند المصريين المحدثين، صفحة 223.

(9) اديب المتني، دراسات في علم الإيقاع أسامة، صفحة 19.

(10) هير الشايب، الآلات الموسيقية المستخدمة عند المصريين المحدثين، صفحة 282